السَّهر الروحي

«لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا ...»

(لو ٢٢: ٤٦)

✚

تمهيد:

نستطيع - بكل وضوح - أنْ نلمح اهتمام الربِّ يسوع بموضوع السَّهَر، وذلك من خلال أحاديثه العديدة مع تلاميذه أو مع الجموع، ومن خلال بعض الأمثلة التي طرحها عليهم. فقد أسهَبَ السيِّد في تكرار وصيَّته للجميع: "**اسهروا**"، وذلك في مناسبات عديدة، وأحيانًا بربط السهر مع عمل روحي آخر مثل: "**اسهروا وصلّوا**" أو "**اسهروا وتضرَّعوا** " أو "كونوا مستعدِّين" وغيرها. ومن المهم لنا أن نُدرِك عمق المعنى والمفهوم الأصيل لوصيته: **"اسهروا"** الذي يقصده الربُّ، حتى يمكننا أن نُتمِّمه بنجاح وأمانة، ونَجني المنفعة، ونُحقِّق القصد من هذه الوصيَّة؛ وصية السَّهَر.

في الحقيقة، إنَّ السَّهَر الذي قصد الربُّ يسوع أن نُتمِّمه - بجانب كونه سهرًا فعليًّا - إلَّا أنَّ القصد الحقيقي والأعمق له يكمن في ضرورة الاستعداد الدائم واليقظة القلبية والروحية الدائمة، وفي ضرورة التوقُّع الدائم والاشتياق لمجيء الربِّ في أيِّ وقت. وبالتالي بالاستعداد الجيِّد لاستقباله كعريس لحياتنا، وحينئذ نكون أهلًا للدخول معه إلى العُرس السمائي بمصابيح مُضيئة، وحياة مقدَّسة مستنيرة بزيت الأعمال المرضيَّة أمام الله. وأن نكون أيضًا مستعدِّين في كلِّ حين لهذا الحدث، حتى في نومنا الجسدي؛ حسب قول عروس النشيد بالروح: «أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ» (نش ٥: ٢)، وقول بولس الرسول: «... حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١تس ٥: ١٠).

ولاشك في أنَّ هذا الاستعداد القلبي واليقظة الروحية يستلزمان مِنَّا نوعًا من الجهاد الروحي والصبر والصوم والصلاة والأعمال المرضية أمام الله، مع الحرص الدائم في الحياة لئلَّا يخطف أحدٌ إكليلنا، أو يُضيِّع تَعبَنا وجهادَنا، فنفقد الطوبى والفرح المُعدُّ للساهرين (انظر: لو ١٢: ٤٠).

لماذا يجب علينا أن نسهر؟ (مخاطر عدم السَّهَر):

في البداية نقول، إنَّ وصيَّة السَّهَر التي أوصانا بها الربُّ، هي في الحقيقة فرصة رائعة لمعاينة مجده والشركة معه؛ فالعذارى الحكيمات بسبب **سَهرِهنَّ** واستعدادهنَّ الفعلي والقلبي قد دَخلنَ مع العريس إلى عُرسه. وبطرس ويعقوب ويوحنا تلاميذ الربِّ، حينما **انتبهوا من نومهم**، أبصروا مجد الربِّ على الجبل المقدَّس مع موسى وإيليا؛ كما يذكر القديس لوقا البشير (انظر: لو ٩: ٣٢). والرعاة **الساهرون** نالوا فرح البشارة بميلاد الرب يسوع - من فم الملاك - فأسرعوا لينظروا المسيح المولود في بيت لحم. فالنوم إذن، قد يكون عائقًا يَحرمنا من التَمتُّع بمجد وأكاليل الساهرين المستعدِّين والمترقِّبين وصول العريس. وفيما يلي نعرِض لأهم مخاطر عدم السَّهَر وعدم الاستعداد للقاء العريس:

١ - **مخاطر من اللصوص**: يقول الربُّ في إنجيل متى الرسول: «أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي **السَّارِقُ**، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ» (مت ٢٤: ٤٣). والقديس بطرس الرسول يكتب في رسالته الأولى: «اُصْحُوا **وَاسْهَرُوا**. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ» (١بط ٥: ٨). مما سبق نرى أنَّ الغفلة والنوم وعدم السَّهَر والاستعداد يمثلون مخاطرة شديدة للإنسان، تتمثَّل في محاربات إبليس وتجاربه؛ وهو أكبر الأعداء لنا، وذلك بحروبه وأفكاره، وزرعه لروح الكسل والتراخي في الحياة، حتى يفقد الإنسان رجاءه، ويبدأ في التخلي عن جهاده واستعداده، ويضيع تعبه، ويُسرَق منه زمان توبته، ومن ثَمَّ يفقد إكليله يوم مجيء العريس.

٢ - **خطر الموت والدينونة**: الموت يمثِّل **اللص الثاني** الذي يأتي بغتة، ويمكن أن يفاجِئ الإنسان في أي لحظة، وفي هذا الأمر يكتب لنا القديس يوحنا الرسول بالروح، عبر مخاطبة الربِّ لملاك الكنيسة التي في ساردس فيقول: «فَإِنِّي إِنْ لَمْ **تَسْهَرْ**، أُقْدِمْ عَلَيْكَ كَلِصٍّ، وَلَا تَعْلَمُ أَيَّةَ سَاعَةٍ أُقْدِمُ عَلَيْكَ» (رؤ ٣: ٣). فإن لم يكن الإنسان مستعدًا وساهرًا، فسوف يقف مرتعبًا أمام منبر القضاء والدينونة، بوجه مُعبَّس، ولا يقدر أن يُعطي جوابًا عن عدم استعداده، وعن إهداره العمر باطلًا، وعدم إعداد نفسه بالسَّهَر والتوبة، ليزكِّي نفسه عند تقديم حساب وكالته، بل إنه سيقول للآكام أن تغطِّيه من وجه الجالس على العرش، وهذا ما حذَّرَنا منه الربُّ بقوله: «لِئَلَّا يَأْتِيَ بَغْتَةً فيَجِدَكُمْ نِيَامًا!» (مر ١٣: ٣٦). وإن كان الإنسان

مستعدًا، فسوف يهتف: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ» (في ١: ٢٣).

٣ - **خطر التخلُّف عن دخول العُرس السمائي**: يتحدث الكتاب المقدَّس عن العذارى فيقول: «**وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ** إِلَى الْعُرْسِ، **وَأُغْلِقَ الْبَابُ**» (مت ٢٥: ١٠). إنَّ خطورة التكاسل وعدم السَّهر والاستعداد إنَّما تُعرِّض النفس لمواجهة أقسى وأصعب حكم عليها، وهو الحرمان من الدخول والفرح مع العريس السمائي؛ بعد ما يكون الباب الذي دخل منه الساهرون قد أُغلِق. لأنَّ مَنْ أراد الفرح في السماء مع الربِّ، لا بد أن يكون قد أعدَّ العُدَّة لاستقباله بالسَّهَر، وانتظار مجيئه بلا كسلٍ أو مللٍ، في أي وقت وأي ساعة، وذلك بعمل وصاياه، وملء آنية قلبه بزيت النعمة المقدَّس، ترقُّبًا لحضوره، ساهرًا مُتيقظًا، طالبًا سرعة مجيئه. كما قيل عن سمعان الشيخ وحنّة النبيَّة، والآخرين الذين كانوا بالهيكل، يصومون ويعبدون الربَّ، منتظرين بصبرٍ ورجاءٍ معاينة خلاصه؛ فتحقَّق لهم مرادهم، لقاء سَهرِهم وإيمانهم (انظر: لو ٢: ٢٥-٣٠، ٣٦-٣٨).

٤ - **خطر الحرمان من معاينة مجد الربِّ**: تَثقَّلَت أعينُ التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا بنومٍ ثقيل، وهم على الجبل المقدَّس مع الربِّ يسوع (انظر: لو ٩: ٣٢)، وعندما انتبهوا من نومهم عاينوا مجد الربِّ، وظهور موسى وإيليا معه، ودخلوا معهم في السحابة النورانية. وهكذا يظهر لنا، إنهم لو لم يستيقظوا من سُباتهم ونومهم؛ لفقدوا استعلانًا إلهيًّا فائقًا. لأنَّ اليقظة والسَّهَر هما من أسرار معاينة مجد المسيح، لأنهما يكونان شاهدان على مدى الاستعداد القلبي، واليقظة والاشتياق للقاء الربِّ، وهذه كلُّها لا يمكن أن ينساها الربُّ.

٥ - **خطر السقوط أمام التجارب والمحاربات الشيطانية**: قال الربُّ لتلاميذه: «اِسْهَرُوا إِذًا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، **لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ**» (لو ٢١: ٣٦)، وقال أيضًا: «قُومُوا وَصَلُّوا **لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ**» (لو ٢٢: ٤٦). وفي رؤيا القديس يوحنا، يقول السيِّد: «أَنَا آتِي كَلِصٍّ! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلَّا **يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ**» (رؤ ١٦: ١٥). فالسَّهَر ضرورة لحفظ الإنسان نفسه مقابل تجارب العدوِّ وسهامه الشريرة، وهو يحفظ لنا الانتباه واليقظة الروحية،

المصحوبة بالصلاة والاتضاع والانسكاب أمام الله، واللهج في ناموسه نهارًا وليلًا، لننجو من فخاخ الشرير المنصوبة للمتكاسلين، إذ إنَّه يبدأ في صيد فرائسه بزرع الكسل وروح التراخي والنوم والخمول عندهم، فتبرد حرارة الروح فيهم، فيسهل إيقاعهم في الخطية. أمَّا الساهرون والمستعدُّون؛ فهؤلاء لهم الطوبى، وبنعمة سيِّدهم قادرون على ردِّ سهام العدوِّ وتجاربه عنهم.

كيف نسهر روحيًّا:

حينما يطلب الربُّ منَّا أن نسهر، فهو بالطبع لا يقصد مجرد عدم النوم الجسدي فقط؛ بل لا بد أن يرتبط سَهرُنا هذا، بعملٍ يعمله الإنسان اليقِظ والمستعد والمجتهد والمشتاق للقاء سيِّده المسيح. ولعلَّ هذه الأعمال التي يجب أن يَتَّسِم بها سهرُنا الروحي، هي التي تُمثِّل الزيت القادر على إنارة مصابيحنا وقت مجيء العريس السمائي. ويمكنُنا تلخيص أهم هذه الأعمال فيما يلي:

- **السَّهَر مع الصلاة:** يقول الربُّ يسوع لنا: «اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» (مت ٢٦: ٤١)، ويقول أيضًا في إنجيل القديس مرقس: «اُنْظُرُوا! **اِسْهَرُوا وَصَلُّوا،** لأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ» (مر ١٣: ٣٣)، (وانظر أيضًا: مت ٢٥: ٣، مر ١٤: ٣٨).
- **السَّهَر مع الصوم:** يكتب معلمنا بولس الرسول موصيًا الجميع بالسهر والصوم قائلًا: «بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ ... فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ، فِي طَهَارَةٍ ...» (٢كو ٦: ٤-٦).
- **السَّهَر مع الشكر:** يقول الرسول بولس لأهل كولوسي: «وَاظِبُوا عَلَى الصَّلَاةِ **سَاهِرِينَ** فِيهَا **بِالشُّكْرِ**، مُصَلِّينَ فِي ذلِكَ لأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا» (كو ٤: ٢، ٣).
- **السَّهَر مع الثبات في الإيمان:** يُطوِّب يوحنا الرسول أولئك الذين أتمُّوا وصايا الربِّ بالسهر على حفظ أنفسهم من العالم فيقول: «طُوبَى لِمَنْ **يَسْهَرُ** وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِئَلَّا يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ» (رؤ ١٦: ١٥). وكذلك يقول بولس الرسول: «وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلَاصِ وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، **وَسَاهِرِينَ** لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ» (أف ٦:

١٨). ويقول أيضًا: «**اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ.** كُونُوا رِجَالًا. تَقَوَّوْا» (١كو ١٦: ١٣).

- **السَّهَر مع الاستعداد والاشياق لاستقبال العريس:** إنَّ الاستعداد لملاقاة العريس، يتطلب مِنَّا سلوكًا مقدَّسًا، وترقبًا دائمًا، مصحوبًا بالثمار الجيِّدة المناسبة لتقديمها للعريس السمائي. ويُنبِّهنا الربُّ في إنجيل القديس متى الرسول إلى ضرورة التيقُّظ للحظة مجيء الربِّ بقوله بالروح: «لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (مت ٢٤: ٤٣)، وانظر أيضًا: (لو ٢١: ٣٦، مت ٢٥: ٤٢).

مكافأة الساهرين:

لقد طوَّب الربُّ يسوع أولئك الساهرين مراتٍ عديدة، داعيًا الجميع للسهر والاستعداد، ومعطيًا من نفسه مثالًا لتلاميذه ولنا، في السَّهَر والصلاة أمامهم في أكثر من مناسبة. ونذكر هنا بعض الأمثلة التي قدَّمها السيِّد لنا بهذا الخصوص:

❖ **السَّهَر يهبنا استحقاق الدخول إلى عُرس الحَمَل:** في مثل العذارى، وصف الربُّ أولئك العذارى الساهرات والمستعدات بالزيت، بالعذارى الحكيمات. وختم البشير المثل بقوله: «والمستعدات **دَخَلنَ معه إلى العُرس**. وأغلِق الباب» (مت ٢٥" ١٠). فالربُّ أعطى المستعدات النصيب في العُرس السمائي، لقاء استعدادهن وسَهرِهن لاستقباله.

❖ **السَّهَر ينجِّينا من الدينونة:** فالسَهَر يساعدنا على الاهتمام بأحوال حياتنا الروحية، فلا نتوه وتثقل قلوبنا بنوم الغفلة، ونؤخذ للدينونة دون استعداد؛ كما يقول لوقا البشير: «احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار، وسُكر وهموم الحياة، فيصادفكم هذا اليوم بغتة» (لو٢١:٣٤)، ثم يعود ليُشجعنا بقوله: «اسهروا إذًا وتضرَّعوا كلَّ حين، **لكي تحسَبوا أهلًا للنجاة**» (لو ٢١: ٣٦).

❖ **السَهَر يمنَحُنا حظوة أمام الله،** فيجزل لنا العطاء، ونكون مُكرَّمين في ملكوته: ففي مَثَل الوكيل الأمين؛ يُطوِّب الربُّ هذا الوكيل الأمين في وكالته، والسالك في وصاياه، في التعامل مع رفقائه، فيُقيمه على كلِّ أمواله، فيقول عنه: «طُوبَى لِذلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هكَذَا! اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ» (لو ١٢: ٤٣، ٤٤). وفي مَثَل العبيد الساهرين المنتظرين رجوع سيِّدهم، يطوِّبهم الربُّ كما يكتب البشير: «طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ **سَاهِرِينَ.** اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ» (لو ١٢: ٣٧). **(البقية صفحة ٣٨)**